## تفسير إبن كثير

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرُّ مِرِّثُلُكُمْ يُوحَىٰ إِلِي ۖ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهُ وَاحِدُ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعَبَادَةٍ رَبِّهِ أَحَدًا

روى الطبراني من طريق هشام بن عمار ، عن إسماعيل بن عياش ، عن عمرو بن قيس الكوفى ، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان أنه قال : هذه آخر آية أنزلت .يقول لرسوله محمد صلى االله عليه وسلم : ( قل ) لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك إليهم : ( إنما أنا بشر مثلكم ) فمن زعم أني كاذب ، فليأت بمثل ما جئت به ، فإني لا أعلم الغيب فيما أخبرتكم به من الماضي ، عما سألتم من قصة أصحاب الكهف ، وخبر ذي القرنين ، مما هو مطابق في نفس الأمر ، لولا ما أطلعني االله عليه ، وأنا أخبركم ) أنما إلهكم ) الذي أدعوكم إلى عبادته ، ( إله واحد ) لا شريك له ، ( فمن كان يرجو لقاء ربه ) أي : ثوابه وجزاءه الصالح ، ( فليعمل عملا صالحا ) ، ما كان موافقا لشرع الله ) ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ) وهو الذي يراد به وجه االله وحده لا شريك له ، وهذان ركنا العمل المتقبل . لا بد أن يكون خالصا الله ، صوابا على شريعة رسول االله صلى االله عليه وسلم .

وقد روى ابن أبي حاتم من حديث معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن طاوس قال : قال رجل : يا رسول االله ، إني أقف المواقف أريد وجه االله ، وأحب أن يرى موطني . فلم يرد عليه رسول االله صلى االله عليه وسلم شيئًا . حتى نزلت هذه الآية : ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ) .وهكذا أرسل هذا مجاهد ، وغير واحد .وقال الأعمش : حدثنا حمزة أبو عمارة مولى بني هاشم ، عن شهر بن حوشب قال : جاء رجل إلى عبادة بن الصامت فقال : أنبئني عما أسألك عنه : أرأيت رجلا يصلي ، يبتغي وجه االله ، ويحب أن يحمد ، ويصوم ويبتغي وجه االله ، ويحب أن يحمد ، ويتصدق ويبتغي وجه االله ، ويحب أن يحمد ، ويحج ويبتغي وجه االله ، ويحب أن يحمد ، فقال عبادة : ليس له شيء ، إن االله تعالى يقول : " أنا خير شريك ، فمن كان له معي شريك فهو له كله ، لا حاجة لي فيه " .وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد االله بن الزبير ، ثنا كثير بن زيد ، عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، عن جده قال : كنا نتناوب رسول االله صلى االله عليه وسلم ، فنبيت عنده ، تكون له الحاجة ، أو يطرقه أمر من الليل ، فيبعثنا . فكثر المحتسبون وأهل النوب ، فكنا نتحدث

، فخرج علينا رسول االله صلى االله عليه وسلم فقال : " ما هذه النجوى ؟ ألم أنهكم عن النجوى . قال : فقلنا : تبنا إلى االله ، أي نبى االله ، إنما كنا في ذكر المسيح ، وفرقنا منه ، فقال : " ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي ؟ " قال : قلنا : بلي . قال : " الشرك الخفي ، أن يقوم الرجل يصلي لمكان الرجل " .وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد - يعني ابن بهرام - قال : قال شهر بن حوشب : قال ابن غنم : لما دخلنا مسجد الجابية أنا وأبو الدرداء ، لقينا عبادة بن الصامت ، فأخذ يميني بشماله ، وشمال أبي الدرداء بيمينه ، فخرج يمشي بيننا ونحن نتناجى ، والله أعلم بما نتناجى به ، فقال عبادة بن الصامت : إن طال بكما عمر أحدكما أو كليكما ، لتوشكان أن تريا الرجل من ثبج المسلمين - يعني من وسط - قرأ القرآن على لسان محمد صلى االله عليه وسلم فأعاده وأبدأه ، وأحل حلاله وحرم حرامه ، ونزل عند منازله ، لا يحور فيكم إلا كما يحور رأس الحمار الميت. قال: فبينما نحن كذلك، إذ طلع شداد بن أوس - رضى الله عنه - وعوف بن مالك ، فجلسا إلينا ، فقال شداد : إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لما سمعت رسول االله صلى االله عليه وسلم يقول: " من الشهوة الخفية والشرك ". فقال

عبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء : اللهم غفرا . أولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حدثنا أن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب. وأما الشهوة الخفية فقد عرفناها ، هي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها ، فما هذا الشرك الذي تخوفنا به يا شداد ؟ فقال شداد : أرأيتكم لو رأيتم رجلا يصلي لرجل ، أو يصوم لرجل ، أو تصدق له ، أترون أنه قد أشرك ؟ قالوا : نعم ، واالله إنه من صلى لرجل أو صام له أو تصدق له ، لقد أشرك . فقال شداد : فإني سمعت رسول االله صلى االله عليه وسلم يقول : من صلى يرائى فقد أشرك ، ومن صام يرائي فقد أشرك ، ومن تصدق يرائي فقد أشرك ؟ " فقال عوف بن مالك عند ذلك : أفلا يعمد االله إلى ما ابتغى به وجهه من ذلك العمل كله ، فيقبل ما خلص له ويدع ما أشرك به ؟ فقال شداد عن ذلك : فإني سمعت رسول االله صلى االله عليه وسلم يقول : " إن االله يقول : أنا خير قسيم لمن أشرك بي ، من أشرك بي شيئا فإن حشده عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به ، وأنا عنه غنى " .طريق أخرى لبعضه : قال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني عبد الواحد بن زياد ، أخبرنا عبادة بن نسى ، عن شداد بن أوس - رضى االله عنه - أنه بكي ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : شيء سمعته عن رسول

االله صلى االله عليه وسلم يقوله فذكرته فأبكاني ، سمعت رسول االله يقول : " أتخوف على أمتى الشرك والشهوة الخفية " . قلت : يا رسول االله ، أتشرك أمتك من بعدك ؟ قال : " نعم ، أما إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ، ولا حجرا ولا وثنا ، ولكن يراءون بأعمالهم ، والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه .ورواه ابن ماجه من حديث الحسن بن ذكوان ، عن عبادة بن نسى ، به . وعبادة فيه ضعف وفي سماعه من شداد نظر .حديث آخر : قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا الحسين بن علي بن جعفر الأحمر ، حدثنا علي بن ثابت ، حدثنا قيس بن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " يقول االله يوم القيامة : أنا خير شريك ، من أشرك بي أحدا فهو له كله " .وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت العلاء يحدث عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى االله عليه وسلم ، يرويه عن ربه - عز وجل - أنه قال : " أنا خير الشركاء ، فمن عمل عملا أشرك فيه غيري ، فأنا منه بريء ، وهو للذي أشرك " . تفرد به من هذا الوجه .حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا ليث، عن يزيد - يعني ابن الهاد - عن

عمرو ، عن محمود بن لبيد ; أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول االله ؟ قال : " الرياء ، يقول االله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء "حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن بكر أخبرنا عبد الحميد - يعني ابن جعفر - أخبرني أبي ، عن زياد بن ميناء ، عن أبي سعيد بن أبى فضالة الأنصاري - وكان من الصحابة - أنه قال : سمعت رسول االله صلى االله عليه وسلم يقول: " إذا جمع االله الأولين والآخرين ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه ، نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله الله أحدا ، فليطلب ثوابه من عند غير االله ، فإن االله أغنى الشركاء عن الشرك " .وأخرجه الترمذي وابن ماجه ، من حديث محمد بن بكر وهو البرساني ، بهحديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا بكار ، حدثني أبي - يعني عبد العزيز بن أبي بكرة - عن أبي بكرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم: " من سمع سمع االله به ، ومن راءى راءى االله به " .وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية ، حدثنا شيبان ، عن فراس ، عن عطية ، عن أبي

سعيد الخدري ، عن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " من يرائبي يرائبي االله به ، ومن يسمع يسمع االله به " .حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، حدثني عمرو بن مرة ، قال : سمعت رجلا في بيت أبي عبيدة ; أنه سمع عبد االله بن عمرو يحدث ابن عمر ، أنه سمع رسول االله صلى االله عليه وسلم يقول : " من سمع الناس بعمله سمع االله به ، سامع خلقه وصغره وحقره " قال : فذرفت عينا عبد االله .وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عمرو بن يحيى الأيلي ، حدثنا الحارث بن غسان ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن أنس ، رضي االله عنه ، قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " تعرض أعمال بني آدم بين يدي االله - عز وجل - يوم القيامة في صحف مختومة ، فيقول االله : ألقوا هذا ، واقبلوا هذا ، فتقول الملائكة : يا رب ، واالله ما رأينا منه إلا خيراً . فيقول : إن عمله كان لغير وجهي ، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي " .ثم قال الحارث بن غسان : روى عنه جماعة وهو بصري ليس به بأسوقال ابن وهب : حدثني يزيد بن عياض ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن عبد االله بن قيس الخزاعي ، أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال: " من قام رياء وسمعة ، لم يزل في مقت االله حتى

يجلس " .وقال أبو يعلى : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا محمد بن دينار ، عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص ، عن عوف بن مالك ، عن ابن مسعود - رضي االله عنه - قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو ، فتلك استهانة استهان بها ربه ، عز وجل " .وقال ابن جرير : حدثنا أبو عامر إسماعيل بن عمرو السكوني ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا ابن عياش ، حدثنا عمرو بن قيس الكندي ; أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ) وقال : إنها آخر آية نزلت من القرآن .وهذا أثر مشكل ، فإن هذه الآية هي آخر سورة الكهف . والكهف كلها مكية ، ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها ما تنسخها ولا يغير حكمها بل هي مثبتة محكمة ، فاشتبه ذلك على بعض الرواة ، فروى بالمعنى على ما فهمه ، واالله أعلم .وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، حدثنا النضر بن شميل ، حدثنا أبو قرة ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب - رضي االله عنه - قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم: " من قرأ في ليلة: ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا

ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ، كان له من نور ، من عدن أبين إلى مكة حشوه الملائكة " . غريب جدا .آخر تفسير سورة الكهف والله الحمد .